



PARTI PRIS

Notes d'analyse

- (i)** « Parti pris » est une note d'analyse sur une question importante ayant trait aux enjeux actuels de l'économie nationale, aux problèmes liés aux politiques économiques, aux effets des dynamiques internationales.
- (ii)** Comme son nom l'indique, « Part pris » traduit une « position », épistémologique, méthodologique ou intellectuelle, propre à l'auteur.
- (iii)** Elle ne reflète pas une « position » de l'AMSE qui, convient-il de le rappeler, est une société savante, pluraliste et ouverte.
- (iv)** Les notes doivent, dès lors, observer les règles en vigueur en matière d'analyse scientifique : rigueur, pertinence, validité.
- (v)** Destinées aux décideurs et, au-delà au public intéressé, elles doivent être rédigées dans un style clair, précis et simple.
- (vi)** Les notes d'analyse ne doivent pas dépasser 5 pages.
- (vii)** Elles font l'objet d'une procédure d'acceptation par le comité directeur de l'AMSE.

PARTI PRIS 21

أي سياسة اقتصادية بعد جائحة الفيروس " Covid-19 "

د.محمد عبد اللوي

المدرسة العليا لأساتذة التعليم التقني

المركز متعدد التخصصات للبحث في حسن الاداء و التنافسية

أي سياسة اقتصادية بعد جائحة الفيروس " Covid-19 "

د.محمد عبد اللوي | المدرسة العليا لأساتذة التعليم التقني | المركز متعدد التخصصات للبحث في حسن الاداء و التنافسية

ان جائحة فيروس "كرونا" ادخلت الاقتصاد العالمي في حالة من الركود والانكماش و في هذا الصدد ، يعتقد تشو مسكي(1) ، بان المصلحة النفعية للنيوليبرالية المتوحشة التي تتحكم في اقتصاد السوق وفلسفة العرض والطلب على مستوى العالم ، تقودنا إلى الهلاك. و يضيف تشو مسكي ، لقد تمت خيانتنا من النظم السياسية التي تتحكم فيها النيوليبرالية ويديرها الأغنياء ولا خيار لنا سوى "الخروج من الطاعون النيوليبرالي" للتعامل مع الأخطار المقبلة التي تلوح في أفق العالم. فهل هذا يعني أفول السياسة الاقتصادية النيوليبرالية والبحث عن بدائل للسياسة الاقتصادية الحالية.

1- محدودية الجدل النظري الحالي

لقد أعادت حاليا جائحة الفيروس " Covid-19"، النقاش الذي يمكن اختزاله في السؤال التالي: أيهما أفضل للانتعاش الاقتصادي:

- هل أكثر ليبرالية؟، أو؛

- المزيد من تدخل الدولة.

في الواقع ، هذه المشكلة قديمة ، قدم الرأسمالية. ومع ذلك ، يمكن التعبير عنها سواء على المستوى النظري أو على المستوى التاريخي ((إشارة إلى التجارب والاستراتيجيات السابقة) .

سلطت عودة أزمة النظام الرأسمالي ، اليوم ، الضوء على مزايا تدخل الدولة ، مما أثار تساؤلات حول دور السوق في النشاط الاقتصادي، وقد يستدعي من المرء محاكمة ميلتون فريدمان (Milton Friedman) عن اخطائه و تبرئة الكينزية (keynésianisme). فمن الآن فصاعداً، يسمع المرء فقط الواقعية والكفاءة وعدم تقليص دور الدولة وحرية تدخلها في المجال الاقتصادي .

ولكن ، هل هذه الظاهرة ستعيد إلى الواجهة أنصار الكينزية بعد كسوفهم النسبي في أعقاب الأزمات السابقة ، أو فقط نزعة أعمق يجب أن تؤدي إلى نوع من التوليف بين الحساسيات الليبرالية والاجتماعية.

إن الليبرالية ليست إنجازا تاريخيا لخطة تصورها العقل من قبل ، ولا مجموعة من المبادئ القادرة وحدها على تبرير نظام اجتماعي أو سياسي ناتج عن الفعل غير المنضبط للإنسان ، ولا إيديولوجية تضيء الشرعية على نظام قائم ، بل الليبرالية تعبر عن تفسير يتطور ويتغير تدريجياً تحت الدليل المزدوج للحقائق والأفكار.

والليبرالية ليست موحدة حيث يرتبط كل نوع منها أساسا بحدث تاريخي أو بمفكر ينتمي إلي حقبة محددة، وإنها في الأصل فلسفة سياسية بدأ تكريسها رسميا ابتداء من عام 1789 مع J.Lock ، Spinoza ، Descartes و غيرهم. فكانوا بذلك المدافعين المتحمسين عن الحقوق الفردية التي تمتد جذورها في طبيعة الإنسان .

واعتقد ان الليبرالية لا تعني الرأسمالية التي عمل و يعمل الكثير من المفكرين على ترسيخها في عقول الكثير من عامة الناس نظرا لارتباطهم عن وعي او عن غير وعي بمصالح فئوية(رؤوس الاموال)؛ فالاشتراكية العلمية - على الاقل من الناحية النظرية - تهدف الى تحرير الانسان من الاستغلال و العبودية كما اشار اليها كارل ماركس في مؤلفه "راس المال"(2).

"إن محاولة شيطنة اقتصاد السوق بغية تبخيس انجازاته(3) لها عدة مبررات خاصة في العالم العربي ؛ فالالاقتصاديات العربية ممزقة بالفقر والبطالة وهناك تراجع مؤشرات التنمية و نقص المساكن وفرص العمل وارتفاع أسعار المنتجات الغذائية...

ان تفوق النموذج الصيني حقيقة لا غبار عليها و لا يمكن انكاره فبعد بضعة سنين اصبحت الصين تزاحم اعلى اقتصاديات العالم. وحققت الصين ذفرة اقتصادية و اجتماعية بعد ان قامت بثورة جذرية على البنى التقليدية المتعفنة منذ 1949 بقيادة الحزب الشيوعي الصيني (4). ولكي نكون صادقين مع التاريخ و مع أنفسنا فكوبا حققت تقدما ملموسا، رغم الحصار المفروض عليها منذ سنين عديدة من طرف الولايات المتحدة الامريكية ، لم تحققه الدول العربية التي تبنت النموذج الغربي الذي يعتمد على اقتصاد السوق.

ان الليبرالية التي دافع عنها فريدريك هايك (Friedrich Hayek) ،تعتمد اساسا على المبادئ التالية (5) :

- انتقاد "البنائية" الاجتماعية،
- السوق: أمر غير مرغوب فيه،
- السوق كأساس للحرية،
- الخطأ: الاعتقاد بأن السوق وعدالة التوزيع غير متوافقين.

و نعتقد ان هذه النظرية وغيرها من النظريات مثل النظرية الكينزية، تعكس واقع المجتمعات الغربية التي تختلف اختلافا جذريا مع مجتمعات الدول العربية ، خاصة من الناحية الثقافية ، رغم ان المفاهيم التي تركز عليها - هذه النظريات - تتسم بصفة الكونية.

2- أهمية العلم في تطوير السياسة الاقتصادية

كشفت لنا جائحة كورونا مدى أهمية العلم والعلماء خاصة في زمن الكوارث والأوبئة ، حيث ان أهميتهما لا مناص منها للتهوض بالمجتمعات وتحسينها صحيا واقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وفكريا.

ان الدروس العديدة التي يمكن استخلاصها من جائحة فيروس "كورونا" المستجدة ، هي ضرورة إعادة الاعتبار للعلم والعلماء اذ أظهرت لنا هذه الجائحة مدى تقصير الدول - خاصة المتخلفة - في حقّ العلم والعلماء والأطباء والباحثين المتخصصين في مجالات العلوم باعتبار البحث العلمي، قاطرة إنقاذ المجتمع وتنميته وتقدمه وازدهاره. إنّ القارئ لتاريخ الأمم قديمها وحديثها ، يلاحظ أنّ تحضرها ورقّيتها كان دائماً مرتبطاً بالعلم ارتباطاً وثيقاً. وقد نبّه الاسلام الى اهمية العلم والمعرفة، حيث يقول سبحانه وتعالى: "قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَدْرُسُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ". ان تطور السياسة الاقتصادية بما فيها الجانب الصحي و الثقافي يتطلب الاخذ بعين الاعتبار المتغيرات العلمية التي تشكل نبراس المجتمعات البشرية التي تنشد التقدم و الازدهار ، لأنّ العلم من أهم المكونات وأداة التّغيير الاجتماعي والثقافي. ويعتبر العلم حجر الزاوية والأساس الذي تُبنى عليه أيّة سياسة اقتصادية ناجحة. إلا أنّه في الكثير من الدول المتخلفة لا يحظى (العلم) بالمكانة التي يستحقّها، فقد نجد "كرة القدم والفنانون" في الصدارة بينما العلماء ينالون الفتات.

فعلا، لقد ابانت أزمة فيروس " كورونا" بشدّة حاجة الدولة الى العلماء والباحثين المتخصصين في كلّ المجالات، خاصة الأطباء الذين هم خطّ الدفاع الأوّل عن سلامة المجتمعات من الناحية العقلية والنفسية والجسدية. ويبدو لنا ، ان السياسة الاقتصادية الناجحة هي التي تركز اساسا على دعم التعليم العالي والبحث العلمي عبر ضخّ المزيد من الأموال والاستثمارات في المختبرات والمراكز البحث حيث أظهرت لنا هذه الجائحة أهمية التعليم والصحة والبنية التحتية من مستشفيات متكاملة مجهزة بالتجهيزات اللازمة، لمحاربة تداعيات الأمراض والأوبئة. ان مناعة المجتمع تستمد قوتها من الاختيارات الصائبة في تدبير السياسة الاقتصادية التي عمادها العلماء والباحثين . اليوم يمر العالم بأزمة متعددة الأوجه التي هي قبل كل شيء أزمة نظام نيوليبرالي معولم ، تؤثر على كل من البلدان المتقدمة والنامية . ويمكن تلخيص الدروس المستفادة من الأزمة الصحية في البلدان المتقدمة والتي يجب أن تتعلمها البلدان النامية في ما يلي : فالنظام الاقتصادي " الرأسمالي النيوليبرالي " لا يمكن أن يكون مستقبل البلدان " النامية" . و لكن يمكن لهذه البلدان ان تستفيد جدا من اقتصاد المعرفة لان المعرفة ضرورية بالتأكيد في إطار نظام أكثر احتراماً للإنسان والطبيعة وحيث يكون للدولة دور مركزي يهدف الى تحقيق المصلحة العامة والعدالة الاجتماعية.

ان دخول الاقتصاد العالمي في حالة الركود والانكماش الحاد في مختلف القطاعات يمثل أسوأ أزمة اقتصادية منذ الكساد الساحق في سنة 1929. و سيطرت عن هذه الوضعية الشاذة، حتماً، ولادة سياسة اقتصادية جديدة. ويبدو لنا ، ان اية سياسة اقتصادية مستقبلية لن تبني على ما نظر به سواء "كينز" او ميلتون فريدمان. حيث لا يتقبل العقل الحالي المبني على تكنولوجيا الاعلام و التواصل على ما دعى اليه منظرو القرن الماضي. ان الفكر الحالي يعيش ازمة نوعية خطيرة جدا لان "فريدريك هايك" و "ميلتون فريدمان"(منظرو البرالية الجديدة) اللذان ينتميان الى القرن الماضي عملا وفق شرطية هذه الحقبة. فمن غير المعقول ان تستند السياسة الاقتصادية المنشودة على ادوات لم تعد فعالة نظرا للمتغيرات الجديدة (الثورة الرقمية ، فيروس كورونا). لكن لا نتصور ان تكون هناك قطيعة "ابستمولوجية" مع الفكر الاقتصادي الذي ينتمي الى القرن الماضي لأننا لا زلنا نفتات عليه.

هوامش:

- (1) تشومسكي انظر مقال سامية عيسى جريدة العربية "المستقل" النسخة الفرنسية بتاريخ 13 ابريل 2020
- (2) كارل ماركس مختارات من كتاب رأس المال الشبكة العنكبوتية.
- (3) د. نوح الهرموزي انظر مقال العالم العربي : بين جائحة الفيروس وجائحة الشعبوية. الجمعية المغربية للعلوم الاقتصادية. ابريل 2020
- (4) محمد عبد الوهي انظر بحثنا "هل الصين دولة في طريق التنمية" تحت اشراف الاستاذ Raymon Belluud (1983) كلية علوم التربية، الرباط.

voir Revue problèmes économiques n°1848, 17 décembre 1983 (5)